العرب ، وأمره ألا يوغل فى البلاد إلا باذنه حتى يلحق به . فأقلع اليها فى شعبان سنة ٩٢ هـ أغسطس سنة ٧١١ م ، ومعه يليان وكثير من آله وأهل بلده ليكونوا أدلاء ورهائنَ فى أيديهم خشية الغدر بهم . فنزل طارق على صخرة الاسد التى سميت بعدُ جبل الفتح وجبل طارق ، وانساب جيشه فى البلاد ، ففتحوا حصن قرطاجنة فى سفح هذا الجبل ، ثم اقتحموا بسيط الارض . فكتب تُدمير عامل هذه الجهات الى رُذريق « أن قد حلَّ بأرضنا قوم لا ندرى أهبطوا من السماء أم نبعوا من الأرض ، فاومتهم جهدى لأدفع غائلتهم فما استطعت لكثرة عددهم وبسالتهم . فأسرع الينا بكل ما تستطيع حشده من الجنود » . فوجه بأمداد كثيفة الى تُدمير ، فوقعت بينهم وبين جيش طارق جملة مناوشات كانت الدائرة تدور فى جميعها على القوط ، حتى أقبل رذريق بجيش جرار يقرب من مائة الف مقاتل كامل العدة والسلاح . فاستنجد طارق موسى ، فأمده بخمسة آلاف ، فتكامل بهم عدد مقاتلته اثنى عشر الفاً . فأمر طارق باحراق السفن التى عبروا بها تيئيساً لهم من الحياة والنكوص ليستميتوا فى القتال ؟ (لها بقية)

أحمد الاسكندرى

المعجمات العربية

بين يدى أهل العربية اليوم طائفة كبيرة جداً من الكتب القديمة المعتبرة ، أكثرها دينى أو لسانىّ ، وجلها مما أنتجته قرائح العلماء

السابقين ، أزمان نهضة المسلمين العلمية فى العصور العباسية .

والمتأمل فيما ذاع بيننا من كتب القوم يرى فى أسلوب تأليفها نُبواً عن ذوق هذا العصر الذى نعيش فيه بجوار أمم الغرب ونستمد منهم كثيراً من علومنا الكونية ، وشئوننا الحيوية .

لكن لا غرابة فى هذا ، فلكل أمة أساليبها فى الفهم والتفكير ، ولكل زمن ذوقه فى الكتابة والتأليف ، وعلى العلماء فى كل زمن وجيل أن يضعوا للناس ما يناسب زمانهم ، وتتطلبه حاجتهم .

وصلت الينا علوم المتقدمين فى اللغة والدين وغيرها فى كتبهم ، فقرأناها ، وعرفنا أثر كل عصر من عصور التاريخ فى هذه العلوم ، وعرفنا الفرق بين أهل كل عصر وبيننا فى الفهم والاستنباط ، ثم وقفنا على حياتهم العامة والخاصة ، فظهر لنا من كل ذلك أن تلك الكتب قد ألفت لزمن غير زماننا ، وأن علينا واجباً هو أن نجددها بأساليب تلائم أذواقنا وأحوالنا ، لنخط بذلك لنا صفحة فى تاريخ العلوم والفنون الاسلامية ، فهل قمنا بالواجب علينا ؟

انى أخشى أن يرمينا التاريخ بالعقوق إذا قلت أننا لم نحدث لنا أثراً فى إنهاض علومنا وفنوننا ، فاننا لم نزد على أن نشرنا كتبها بيننا كما وضعها الأوائل من غير زيادة عليها أو نقص منها بما يلائم روح عصرنا ، ولا أعرف لذلك من سبب سوى أن اعتقادنا الكمال فى كل قديم وانهامنا قوانا بالقصور عن الاتيان بمثل ما أتى به السلف لا يزال مالكا علينا عقولنا ومشاعرنا ، وهذا أحد الأسباب فى تقاعدنا وانحطاطنا

على أننا اذا كتبنا جديداً — وقلما نفعل ذلك — فانما نكتب بأقلام القدماء ، ونفكر بعقولهم ، فلا تميز بين كتاب يؤلفه عالم من علمائنا فى الدين أو فروع اللغة . وبين مؤلفات القرن الرابع أو الخامس الهجرى .

والمطلع على سير التأليف عند أمم الغرب الآن لا يكاد يصدق أن ما يفعلونه من أعمال البشر ، فأنت لا تسمع برأى جديد أو مذهب حديث إلا رأيت الصحف والمجلات وألوف المؤلفات قد تناولته بحثاً وتعليقاً وشرحاً وتطبيقاً ، ونقداً ووزناً ، ولا تطلب علماً أو فناً حتى تجد فيه من طريف التآليف ما يأسر قلبك ، ويملك حسّك ، وترى من الافتنان فى تقريب العلم ، وتسهيل تناوله ما يملأ فؤادك روعة وإجلالا لأولئك القوم الذين ضربوا فى الحياة بسهم ، فلكل دور من حياة الانسان كتب يقرؤها تناسب عقله وسنه ونوعه فما يقرؤه الطفل غير ما يقرؤه الصبى ، وهو غير ما يقرؤه الشاب أو الرجل ، وما يقرؤه الذكور غير ما يقرؤه الاناث وكل أولئك يقرءون كتبهم ويستمرئونها ويدفعهم الشوق الى طلب جديد غيرها ، وهم يجدون كل يوم من يكتب لهم جديداً ، ويؤلف طريفاً ، فى الدين أو اللغة أو الأدب أو غيرها .

ان الفرق بيننا وبين أهل الغرب عظيم جداً ، انهم لا ينظرون الى أعمال أسلافهم بالعين التى ننظر بها الى أعمال أسلافنا ، انهم يعرفون قدر نفوسهم وعقولهم وأقلامهم ، أما نحن فقد جهلنا نفوسنا ، وعطلنا

عقولنا ، وأهملنا أقلامنا . لقد تغير كل شيء عندنا ، تغيرت الأفكار والعادات والأخلاق وكل شيء فى نظام حياتنا أما كتبنا فلم تتغير مع ما تغير من أحوالنا ، فهى هى بأمثلتها ، ومقدماتها ونتائجها وعباراتها وصحتها وخطئها وعلى طولها أو قصرها ، نجلها ونحترمها ، بل نعبدها ونقدسها مع أن مؤلفيها لو بعثوا فى هذا العصر لأنكروها وأكبوا عليها إصلاحاً وتهذيباً .

لهذا رأيت أن أجول جولة حول تلك الكتب القديمة مبيناً ما أراه من المعايب فيها وذاكراً طرق إصلاحها بما يلائم روح عصرنا بادئاً بمعجمات اللغة لأنها أحق تلك الكتب بالتجديد إذ عليها تعتمد نهضتنا العلمية والفنية

لمحة من تاريخ المعجمات :

وضعت أصول المعجمات التى بأيدينا فى أيام النهضة الاسلامية الكبرى ، أزمان كان العلماء يستطيعون مشافهة العرب فى البوادى ، والاختلاف اليهم فيما أشكل عليهم من مفردات وتراكيب ؛ إذ كانت الملكات لا تزال صحيحة فى البادية ، لم يفسدها الاختلاط ، وقد أدى أولئك العلماء للسان العربى خدمة ما أجلها ، وأعظم عائدتها على الأمة الاسلامية :

وقد أخذ العلماء بعد عصر الأئمة الواضعين فى ترتيب ما وصل اليهم من كتبهم ، واختصارها أو الجمع بينها ، فنشأت عن ذلك المبسوطات

والمختصرات التى بأيدينا الآن من مثل المخصص لابن سيده ؛ والصّحاح للجوهرى ، واللسان لابن منظور ، والاساس للزمخشرى ، والمجمل لابن فارس ، والقاموس المحيط للفيروزابادى ، والمصباح المنير للفيومى ومختار الصحاح للرازى ، وتاج العروس للزبيدى .

المآخذ على المعجمات القديمة :

تلك المعجمات « على كثرتها وما عاناه الأقدمون فى ترتيبها وتقريبها وما بذلوه من جهد فى ضبطها وتهذيبها ، ومحاولة استيعاب الشوارد ، وتقييد الأوابد فى بعضها لم تكن لتخلو من مآخذ وعيوب ، ظهرت بعد طول تأملها ، والاضطرار الى استفتائها :

١ — من أوضح تلك المآخذ عليها فى مجموعها عدم الاستغناء بواحد منها عن غيره ، مهما اتسعت مادته ؛ فقد تجد فى الصغير منها على صغره ما لا تجد فى الكبير على كبره ، فتعثر فى المصباح مثلا على « العوائد » جمعاً للعادة ولا تكاد تجدها فى غيره ، وتجد فى الأساس وفى التاج « نقلا عنه فيما اعتقد » لفظة « الشفاف » للجسم الذى لا يحجب ما وراءه ، على حين أنك لا تجدها فى اللسان ولا فى غيره ، والمُثُل على ذلك كثيرة .

أما ضرر ذلك التفرق فهو إضاعة كثير من الزمن فى مراجعة الألفاظ وتحقيقها ، وما أمر ذلك على معلم الإنشاء الذى يقف فى كل سطر يكتبه تلميذه بلفظة أو لفظتين أو أكثر يحتاج أن يكشف عنها

عنها فى بطون هذه المعجمات كلها (لا يستثنى منها صغيراً ولا كبيراً) وما أحوجه الى ذلك الوقت المضيع أن ينفعه فيما هو أعود بالنفع الجليل عليه وعلى تلاميذه .

على أن هناك أمراً آخر غير ضياع الوقت ، وهو ضياع المال ، فطلاب اللغة واجب عليهم أن يقتنوا هذه المعجمات كلها ، مهما بلغ ثمنها ، قياماً بحق صناعتهم ، وما أكثر ذلك وأثقله على المتأدبين ، ولو كان لدينا محيط جامع لأوابد اللغة وشواردها لاكتفينا به عن غيره ، فحفظنا وقتنا ، ووفرنا أموالنا .

٢ — ومنها سوء ترتيبها ، من حيث الخلط فى شرح موادها . فالقاموس المحيط مثلا تارة يبتدىء المادة بأفعالها ومصادرها ، ثم بالمشتقات والأسماء والجموع وما اليها . وطوراً يبتدىء بشرح الأسماء والجموع ، ثم يأتى بالأفعال مجردها ومزيدها ، ثم يعود الى ذكر الأعلام والأماكن من غير ضابط ، ولا نظام ثابت ، وكل ذلك بطريق العطف بالواو ، من غير تمييز بأقواس أو علامات كما هو شأن المعجمات الأفرنكية التى يسهل على أصاغر الطلاب البحث فيها .

٣ — ومن ذلك غموض بعض عباراتها غموضاً لا تذهب معه الحيرة ، ولا يبرح الخفاء ، مما يملأ نفس الباحث غيظاً وسأماً كما فى التعريفات الدورية ، أو الإحالة على العرف الخارجى ، يظهر ذلك فى شرح أسماء بعض النبات أو الحيوان أو العقاقير الطبية ، أو الألعاب

العربيـة ، وما الى ذلك من الآلات والأدوات التى لا نعرفها اليوم ، وما أجدرنا بمعرفتها !

ومن أمثلة الغموض قول صاحب التـاج فى ترجمة (القَرَقُوس) هو كحَلَزُون ، القاع الصلب لا نبت فيه ، أو الأملس الغليظ الأجرد الذى ليس عليه شىء ، وربما نبع فيه ماء ولـكنه محترق خبيث كأنه قطعة نار ، ويكون مرتفعاً ومطمئناً ، وهى أرض مسحورة ، ومن سحرها أيبس الله نبتها ومنعه !

فمثل هذا القول (على طوله) لا يكشف شبهة ، أو يزيل حيرة ، وما زلت بعد قراءته بل وحفظه غير فاهم المراد منه .

٤ — ومن المآخذ عليها أنها يعوزها التحقيق العلمى أحياناً ، فان بعض عباراتها ينافى ما أثبته العلم الحديث الذى أساسه التجربة والمشاهدة الصحيحة ، مثل أن يقول لك صاحب القـاموس (اليعسوب) أمير النحل وذكرها ، وهو خطأ صوابه (اليعسوب) أميرة النحل وأنثاها ، كما هو مبين فى علم الحشرات .

٥ — ومنها أنك تجد فيها اختلافاً كثيراً ، فيقول لك القاموس وشرحه فى ترجمة (الكُجّة) إنها لعبة لهم (العرب) . يأخـذ الصبى (خرْقَةً) فيدورها ، ويجعلها كأنهـا الكرة ، ثم يتقامر بها . ويقول اللسان إنها (خزفة) . وزاد على ذلك قول صاحب التاج أنهـا تسمى فى الحضر باسمين الخزفة يقال لها التون ، والآجرة يقال لها البكسة .

أما أنا فلا أدرى أأصدق اللسان أم التاج ، وما زلت فى حيرة من طريقة التقامر بها كيف كانت ؟ ثم يزداد تعجبى من قول صاحب اللسان إنها تسمى فى الحضر باسمين . . . . الخ لأنه لم يلبث أن أوقعنا فى حيرة أخرى بذينك الاسمين الذين لا نعرف لهما مسمى .

٦ — ومنها كثرة الآراء المختلفة فى اللفظة الواحدة فيقول لك صاحب التاج فى شرح (الأبّ) هو العشب رطبه ويابسه ، أو المرعى ، أو جميع الكلأ الذى تعتلفه الماشية ، أو هو من المرعى للدواب كالفاكهة للإنسان ، أو جميع ما أنبتت الأرض .

وفى شرح (الإتب) هو ثوب يشق فى وسطه ، فتلقيه المرأة فى عنقها من غير جيب ولا كمين ، أو هو ما قصر من الثياب فنصف الساقين ، أو هو النفية أو البقيرة ، أو هو قميص بلا كمين ، وقيل الإتب غير الإزار لا رباط له كالتكة وليس على خياطة السراويل ، ولكنه قميص غير مخيط الجانبين .

وفى شرح (الأثاث) هو الكثير من المال ، وقيل كثرة المال ، وقيل متاع البيت من لباس أو حشو لفراش أو دثار ، وقيل المال كله من الإبل والغنم والعبيد والمتاع ، وقيل هو ما يتخذ للاستعمال أو للتجارة ، وقيل هما بمعنى ، وقيل هو ما جد من متاع البيت لا ما رث وبلى ، قيل لا واحد له ، وقيل واحدته أثاثة .

وهكذا لا تكاد تقرأ مادة فى الكتب المطولة إلا رأيت مثل هذا الخلاف الذى لا طاقة لنا بالصبر عليه .

٧ — ومنها طول بعضها طولا مملا بذكر ما لا طائل تحته من الحشو ، والاسترسال فى الاستشهاد لصحة المفردات ، واختصار بعضها اختصاراً مخلا بحاجة صغار الطلاب بحيث يدعو إلى نبذه لولا ما به من شوارد قد لا توجد فى غيره . ومن أمثلة ذلك المختار والمصباح وما شاكلهما .

٨ — ومنها ذكر بعضها لأسماء الأمكنة والبقاع ، وأعلام القبائل والأشخاص ، وإغفال بعضها كل ذلك ، واقتصاره على مادة اللغة .

٩ — ومنها أن بعضها يعنى بشرح التصاريف وعللها ، والمشتقات وأصولها ، والمصادر ومسموعها ، والجموع وغرائبها ، والنسبة وشواذها ؛ والحقيقة والمجاز ، ومنها ما لا يعنى بذلك كبير عناية .

١٠ — ومنها كثرة وقوع الخطأ اللفظى فيها (وتلك طامة كبرى) بسبب جهل النساخ قديماً والمصححين حديثاً ، أو قلة عنايتهم ، أو خطأ المؤلفين أنفسهم ، وذلك واضح فيما هو غير مضبوط منها ، فنقرأ فى أساس البلاغة (طبعة مصر سنة ١٣٢٧) فى مادة (جمع) : ما جاءنى إلا (جمعية) منهم ، والكتاب غير مضبوط ، فتفرح بكلمة (جَمْعِيّة) ظاناً أنها مما ورد فى اللغة ، ولكن لا تلبث أن تقرأ تصحيحها فى الطبعة الأميرية الجديدة سنة ١٣٤٠ هكذا (ما جاءنى إلا جُمَيْعَةٌ) فيستحيل فرحك زراية على المطابع والمصححين والنساخين ، وكل من كان له أثر فى ذلك الخطأ من القدماء والمحدثين .

وفى القاموس المحيط كثير من هذا الخطأ استدركه عليه التاج والوشاح والجاسوس وغيرها .

١١ — ومنها حاجتها إلى الصور والرسوم لتوضيح المجهول من أسماء النبات والحيوان خاصة بما يزول معه اللبس ، كما فعل بعض مترجمى العرب فيما ترجموه عن اليونان ، وكما يفعل أهل الغرب بمعجماتهم .

١٢ — ومن المآخذ عليها اختلاف ترتيبها ، وعدم اتحاد طريقة البحث فيها . مما جعل بعضها بمنأى عن أيدى بعض المتعلمين ، وما أحسن أن توحد طريقتها وطريقة المعجمات الأفرنجية ، وهى الطريقة التى وضع عليها الأساس والمصباح وما فى معناهما؟

(يتبع)

مصطفى السقا

مدرس بمدرسة الأمير فاروق الثانوية

مآخذ التربية

من قوله تعالى « رب العالمين » من سورة الفاتحة

لحضرة أستاذنا الجليل فيلسوف المربين الشيخ طنطاوى جوهرى

قال حفظه الله : (الحمد لله رب العالمين) أى مربى العوالم كلها ومرقيها من حال النقص إلى حال الكمال وغايات التمام فهو الذى يتعهد النبات بالتغذية والإنماء وهكذا الحيوان والانسان وكذا العوالم